والعمل المحكم * فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل ولهذا قيل (الناس أبناء ما يحسنون) أى ما يعرفون ويعملون من العلوم والاعمال الحسنة . (١)

الباب الاول في أدب النفس

كل من أعار الوجود نظرة البصير علم أن حاجة المرء الى تأديب نفسه لا تفوقها حاجة لان الانسان إلى الشر أميل منه الى الخير والى الشهوات النفسية منه الى الكمالات الروحية فكان من المحتم العناية بتهذيب خلقه . وتحليته بالمحاسن والفضائل وتطهير نفسه من المساوىء والرذائل فيصبح محمود الاقوال والافعال مثالا للفضيلة والكمال . وهاك شذرة مما يلزمك أن تتخلق به من آداب نفسك :

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، لا تستخفن بفاضل شريف، لا تميلن الى سخيف ، لا تقولن هجراً لئلا يسقط قدرك ، لا تفعلن منكراً لئلا يقبح ذكرك ، إياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ، ويحرك من عدوك ما سكن ، فكلام الانسان بيان فضله ، وترجمان عقله ، فاقصره على الجميل ، واقتصر منه على القليل ، وإياك وما يستقبح من الكلام ، فانه ينفر عنك الكرام ، ويوثب عليك اللئام، اياك واللجاج فانه يوغر القلوب ، وينتج الحروب ، فاقتصر من الكلام

(١) الذريعة للاصفهانى

على ما يثبت حجتك ، ويبلغك حاجتك ، ومن قال بلا احترام ، أجيب بلا احتشام ، لا تعود نفسك الا ما تحظى بأجره ، وتحمد على ذكره واياك ومحاجة من يملكك قهره ، وينفذ فيك أمره . يستدل على رزانة الرجل بقلة نطقه ومقاله ، وعلى فضله بفضل علمه واحتماله ، فأكرم اخوانك ، واكثر خلانك ، واكفهم لسانك ، فطعن اللسان أنفذ من طعن السنان ، تعام عما تسوؤك رؤيته ، وتغاب عما تضرك معرفته ، ولا تشر على من لا يقبل منك ، ولا تجب عما لا تسأل عنه ، واذا عاتبت فاستبق ، واذا صنعت معروفا فاستره ، واذا صنع اليك فانشره واذا أذنبت فاعتذر ، واذا أذنب اليك فاغتفر ، فالمعذرة بيان العقل والمغفرة بيان الفضل ، لا تزهد فى رجل عرف فضله ، وجرب عقله ، ولا تعن قوياً على ضعيف ، ولا تؤثر دنيا على شريف ، ولا تشر بما يعقب الوزر والاثم ، ولا تفعل ما يقبح الذكر والاسم .

كرم نفسك وعرضك من مضاحكة المجان والمساخر ، ومن لا يبالى بما يقابل به من ضروب الاستخفافات التى تلحقه فهو من شرار الناس . واحفظ لسانك من المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس فان ذلك يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجرّ الوحشة ويؤذى القلوب ، وهو مبدأ اللجاج والغضب والتقاطع ، ويثير الحقد في القلوب ، إلق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة ولا هيبة منهما ، وتوقر من غير كبر وتواضع من غير مذلة ، ليكن ضالة عقلك التي ينشدها ونجعته التى يرتادها الحق فاحكم به ولو على نفسك ولا تكن ممن تأخذه العزة بالاثم

فلا يصغى الى الحق لكونه صدر عمن هو أدنى على مايعتقد ، بل العاقل ياخذ الحكمة حيث وجدت وليس في الحق صغير ولا كبير ولا تحاب صديقك في الحق فان الحق أجدر بالصداقة منه *

اجتهد في محو الخرافات (١) والاوهام والتصورات الباطلة فانها تفسد الملكات وتدل على الجهل بحقائق الامور واطرح المبالاة بكلام الناس لما تتوخاه من الحق فان السلامة من طعن الناس غاية لاتدرك ومن راض نفسه على السكون الى الحق وتبين أن ألمه في أول صدمة كان اغتباطه بذم الناس اياه أشد من اغتباطه بمدحهم له ، ومن لاعدو له لاخير فيه، ولا منزلة أسقط ممن لاعدو له لانها منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها عافانا الله*

لاتقبل سلطة فكرة الا بعد فحص دقيق فان كل ماأبطل ببرهان ضرورى فليس بحق * وكل ماثبت ببرهان فمعارضته شغب فاجتنبها وليكن مرجعك الى الحق ومنزعك الى الصدق فمن أضعف الحق وخذله أضعفه الباطل *

عليك بالنشاط في العمل وترك البطالة والكسل ولا تكن كلا على غيرك فان الرجل كل الرجل من يأكل من كسبه ويشرب من ورده

أقدم على جلائل الاعمال مع الصبر والثبات واحمل نفسك على معالى الامور والتشبث باحسن الاعمال والامور العظام والتعاون لنيلها

---

(١) جمع خرافة ويراد بها كل ماناقى الدين الصحيح او الواقع أومالا يقبله العقل السليم

بالآلام فان الكسل من النقائص التى توجب الخسائس والشرور وتدل على ضعف فى ادراك صاحبها وحطة فى نفسه ومن رضى بالدون التحف بالخمول وفاتته معالى الامور وآذن بصغر نفسه وقصر همته وضعف غريزته وقد قيل (اذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقت في بحر الحرمان) لاترغب فى سرعة العمل وارغب فى اتقانه ولا تؤخرن عملا عن وقته فان الوقت الذي تؤخره له عمل ولست تطيق ازدحام الاعمال فانها اذا ازدحمت دخلها الخلل * ولتكن أوقاتك عندك كلها ربيعاً فالوقت من أسمى مواهب الخالق التى لايمكن استعادتها متى فاتت فلا تتصرف فيه بما يؤسفك على فواته ، من هم أقل منك معرفة وأدنى درجة ينبغي أن لا تكثر معهم اللجاجة ولا تخالطهم الا بقدر الحاجة احذر من صحبة الفارغ فانه يفتك بوقتك ولا فتك الوباء فالمخالطة تؤثر والطبع سراق * فاصحب الخيار * وما وراء كثير من اللغو الا اضاعة الوقت سدى وقطع مراحل الحياة على غير هدى *

الوقت الذى تمضيه في أداء الواجبات الاجتماعية ليس بوقت ضائع لان حب الغير ومعاونته والعمل على نشر العلم وتقليل وطأة الفاقة كلها من دلائل السعادة *

التزم وظيفة من الجزء النظرى والعملى لاتخل به البتة * ولتجرى النفس مجرى الرياضة التى تلازم في حفظ صحة البدن * وأطباء النفوس اشد تعظيما لها فى حفظ صحة النفس وذلك لان النفس متى تعطلت من

النظر وعدمت الفكر والغوص في المعاني تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير واذا ألفت الكسل وتبرمت بالروية واختارت العطلة قرب هلاكها ، لان في عطلتها انسلاخاً من صورتها الخاصة بها ورجوعاً منها الى رتبة البهائم وهذا هو الانتكاس في الخلق نعوذ بالله منه * واذا تعود الحدث الناشيء من حداثته الارتياض بالامور الفكرية واحتمل ثقل الروية والنظر وأنس بالحق ونبا طبعه عن الباطل وسمعه عن الكذب حتى اذا بلغ أشده وانتقل الى مطالعة الحكمة استمر طبعه فيها وتشرب مايستودع منها فوصل الى سعادتها *

احرص على سعادة غيرك فان اجتهادك في إسعاد غيرك إسعاد لنفسك وقصر جهدك على إسعادك لنفسك إشقاء لها وذلك لانه اذا سعى كل في نفع غيره توفر النفع للجميع واذا سعى كل لمجرد نفع نفسه أضر بغيره فتوفر الضرر للجميع *

عليك بترتيب أعمالك وأوقاتك فان الترتيب فضيلة تحمل صاحبها على الاهتمام والعمل بما رتبه لنفسه ، وهي تنشط النفوس وتريح البال ويكون صاحبها مستجمعاً لفكرته محافظا على وقته * عليك أن تنام باكراً وتستيقظ من السحر فتؤدي العبادة المفترضة وتأخذ في التهيؤ للدرس بالمطالعة والحفظ ولاتشتغل بالمباحث التي لاشيء فيها الا الحيرة * اقرأ من المجلات والصحف السيارة ماتبلغه قدرتك ولاتغادر منها حرفاً فالبصير البصير بزمانه ، واعتن بفحص كل الامور صغيرها وكبيرها *

لاتفرح إلا بما تأتيه من جليل الاعمال فان النفس اذا كبرت استشعرت الخلود فعملت من الجميل مايبقى على الازمنة المتطاولة واذا نقصت لم تحفل بمستقبل من الازمنة ولابجميل من الفعل فآثرت عاجل الانتفاع على آجل الذكر * ضن بالحكمة عن بثها لمن لايدريها وصن درر المعانى عن ابتذالها فان ماتألفه ألسن الغوغاء يذهب منه رونقه *

إلق عدوك وصديقك بوجه طلق * واعط كل ذى منصب حقه من التعظيم ولاتعظم جاهلا فان تعظيم الجاهل تقوية له على الجهل ولاتحضر مجلساً يبخس فيه حق الكريم ويكرم اللئيم ولاترض بأن تنزل منزلة لست لها بأهل فانه ليس شيء أضر على الدين والدنيا من تصدر غير الاهل في مكان الاهل * ليكن مجلسك هادئاً وحديثك موزوناً مرتباً واذا جلست فلاتستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك وفرقعتها والعبث بشاربك ولحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وتنحنحك والتمطي والتثاؤب في وجوه الناس في الصلاة وغيرها * اصغ الى الكلام الحق ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولاتسأله اعادته * واسكت عن المضاحك والحكايات * لاتحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر مايخصك * اذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتفكر في جهتك *

لتكن سهل اللقاء والبشاشة ولو في حال المرض وبادر بالتحية والبشر من تلقاه * واكتم بؤسك واجعل شكواك لمن يقدر على غناك ولاتحضر

منازعة فانك لاتخلو من قسط من أذاها ولو بالمطالبة بأداء الشهادة * إياك والانبساط فانه عورة من عوراتك فلاتبذله إلا لمأمون عليه حقيق به * لاتتصنع تصنع المرأة في التزين ولاتتبذل تبذل العبد * ولاتلح فى الحاجات ولاتشجع أحداً على ظلم * لاتعلم أحداً من أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه قليلا هنت عليهم وان رأوه كثيراً لم تبلغ رضاهم قط * واجفهم من غير عنف وان لهم من غير ضعف * ليكن لك فضل عزلة فان كثرة الخلطة مجلبة الابتذال *

اصغ لمن ينتقد عليك واهجر لمن يطريك بما ليس فيك فان من أظهر عيبك أراد تهذيبك ومن عرفك نقصك أرشدك للفضيلة ولاتغتر بمن يطريك ولما تبلغ الكمال * اذا يئست من التغلب على منـــاوئك فاسلك معه سبيل المحاسنة دفعا للشر بالمحاشنة فليس من الحزم أن تصارع القوي وأنت ضعيف وتكافح الكمي وأنت أعزل وتعـاكس مجرى الظروف وطبيعتها ماترى *

ومما يروى عن على عليـه السلام (إياك وفعل القبيح فانه يقبح ذكرك ويكثر وزرك * إياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم * إياك أن ترضى عن نفسك فيكثر الساخط عليك * إياك ومصادقة الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك * إياك ومصادقة البخيل فانه يقعد بك أحوج ماتكون اليه * إياك والسـفه فانه يوحش الرفاق * إياك والعجل فانه مقرون بالعثار * إياك والبطنة فمن لزمها كثرت أسـقامه وفسدت أحلامه * إياك والاعجاب وحب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص

الشيطان * اياك ومستهجن الكلام فانه يوغر القلوب . اياك ومذموم اللجاج فانه يثير الحروب * اياك ان تستسهل ركوب المعاصي فانها تكسوك فى الدنيا ذلة وتكسبك فى الآخرة سخط الله)

(عليك بالحكمة فانها الحلية * عليك بالحياء فانه عنوان النبل * عليك بالسخاء فانه ثمرة العقل * عليك بالاناة فان المتأنى حرى بالاصابة * عليك بحسن الخلق فانه يكسبك الكرامة ويكفيك الملامة * عليك بلزوم الحلال وحسن البر بالعيال * عليك بالصدقة تنج من دناءة الشح * عود نفسك الجميل فانه يجمل عنك الاحدوثة ويجزل لك المثوبة * عود نفسك حسن الكلام تأمن الملام)

(كن بالوحدة آنس منك بقرناء السوء * كن للمظلوم عونا وللظالم خصما * كن للودحافظا وإن لم تجدمحافظا * كن بطيء الغضب سريع الفيء محبا لقبول العذر * كن مؤاخذاً نفسك مغالبا سوء طبعك وإياك أن تحمل ذنوبك على ربك * كن بأسرارك بخيلا ولا تذع سراً أودعته فان الاذاعة خيانة * كن حسن المقال جميل الافعال فان مقال الرجل برهان فضله وفعاله عنوان عقله * كن صموتا من غير عي فان الصمت زينة العالم وستر الجاهل * كن بعدوك العاقل أوثق منك بصديقك الجاهل * كن متصفا بالفضائل مبرأ من الرذائل)

(لاتأس على مافات * لاتقولن مايسوؤك جوابه * لاترغبن في مودة من لم تكشفه * لاتزهدن في شيء حتى تعرفه * لاتضمن مالم تقدر على

الوفاء به لاتخبر بما لم تحط علماً به لاتأمن البلاء فى أمنك ورخائك. لاتعدن شراً ماأدركت به خيراً. لاتعدن خيراً ماأدركت به شراً* لاتتكلم بكل ماتعلم فكفى بذلك جهلا* لاتمسك عن اظهار الحق اذا وجدت له أهلا* لا تنظر الى من قال وانظر الى ماقال لاتستكثرن العطاء وان كثر فان حسن الثناء أكثر منه* لاتمازح الشريف فيحقد عليك ولا تلاح الدني، فيجترىء عليك لاتظن بكلمة بدرت من أحد سوءا وأنت تجد لها في الخير محتملا* لاتعدن صديقاً من لايواسى بماله لا تعدن غنيا من لم يرزق من ماله لاتزدرين العالم وان كان حقيراً لاتعظمن الاحمق وان كان كبيرا* لاتسرعن الى ارفع موضع فى المجلس فان الموضع الذى ترفع اليه خير من الموضع الذى تحط عنه* لاتفرحن بسقطة غيرك فانك لاتدرى مايحدث بك الزمان* لاتغترن بالامن فانك مأخوذ من مأمنك لاتبهجن بخطأ غيرك فانك لم تملك الاصابة أبدا* لاتتبعن عيوب الناس فان لك من عيوبك ان عقلت مايشغلك أن تعيب أحدا* لاتعود نفسك اليمين فان الحلاف لايسلم من الاثم لاتعود نفسك الغيبة فان معتادها عظيم الجرم* لاتيأس من الزمان اذا منع ولاتثق به اذا أعطى* كن على أعظم الحذر* لايؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل* لاتخل نفسك من فكرة تزيدك حكمة وعبرة تفيدك عصمة* لاتسىء الخطاب فيسوءك الجواب* لاتحارب من يعتصم بالدين فان مغالب الدين محروب (١) لاتغالب من لم يستظهر بالحق

(١) فى القاموس حربه حربا كطلبه طلباً سلبه ماله فهو محروب

فان مغالب الحق مغلوب لا تجهل نفسك فان الجاهل بنفسه جاهل بكل شيء * لا تستعمل الرأي فيما لا يدركه البصر ولا يتغلغل اليه الفكر لا تنابذ عدوك ولا تقرع صديقك * واقبل العذر وان كان كذبا * ودع الجواب عن قدرة وان كان لك * لا تترك الاجتهاد في اصلاح نفسك فانه لا يعينك عليها الا الجد لا تضيعن حق أخيك اعتماداً على ما بينك وبينه فليس لك بأخ من أضعت حقه * لا تكونن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً * لا تكثر الضحك فتذهب هيبتك ولا المزاح فيستخف بك لا تكثرن العتاب فانه يورث الضغينة ويدعو الى البغضاء * لا تكثرن الخلوة بالنساء فيملنك وتملهن * واستبق من نفسك وعقلك بالابطاء عنهن * لا تكن فيما تورد كحاطب ليل وغثاء سيل * اقبل النصيحة ممن نصحك وتلقها بالطاعة ممن حملها اليك * واعلم أن الله سبحانه لم يمدح من القلوب إلا أوعاها للحكمة ومن الناس الا أسرعهم الى الحق إجابة)

الباب الثانى

﴿ في أدب الدرس وفيه مطالب ﴾

(١) ﴿ المدارس وأساتذتها ﴾

لا يخفى أن الغاية من تشييد المدارس هى نشر العلوم والمعارف واخراج الناس من ظلمة الجهالات الى نور الهداية والعرفان وإيجاد